فشلت الجولة في حل الازمة الاقتصادية للنظام المصري بسبب تضاؤل وزن السّادات في العالم العربي بعد توقيعه على اتفاقيّة سيناء

كيسنجر : مركز السادات «هش»

كيسينجر يقدم السفير المصري في واشنطن اشرف غربال الى السلطان قابوس

مصر الواجبة السداد هذا العام ٢٦٠٠ مليون جنيه مصري (عدا الديون العسكرية) ٠

والحل الذي تقدمه الدول التي زارها السادات لازمة مصر الاقتصادية هو « الصندوق العربي » الذي يعيد الى الاذهان « صندوق الدين » في عهد الخديوي اسماعيل في القرن التاسع عشر والذي كان السبب المباشر في الاحتلال البريطاني لمصر ٠

وكان الاميركيون قد اقترحوا في العام الماضي اقامة « كونسورتيوم » من دول نفطية عربية لمساعدة مصر اقتصاديا ، ولكن هذه الفكرة لم توضع موضع التنفيذ ٠٠ رغم اقتناع واشنطن والدول الرجعية العربية بضرورة مساعدة السادات ؟ وبعد كل ما قدمه السادات لاميركا ، فان الاولوية القصوى لدى المسؤولين الاميركيين هي تقديم الدعم لاسرائيل عسكريا وماليا ٠

وتشير الارقام الاخيرة الى ان حجم المساعدات الاميركية لمصر سيبلغ عام ١٩٧٦ حوالي ٩٥٠ مليون دولار منها ٤٥٠ مليون دولار تشتري بها مصر فائض حاصلات زراعية اميركية اهمها الدقيق والقمح والشحومات ، ومنها ٤٠٠ مليون دولار في شكل منحة لا ترد ٠ اما الـ ٥٠٠ مليون دولار الباقية والتي وافق عليها الكونغرس فهي قرض يسدد على اجل طويل ٠

وبدأ وليام سايمون وزير الخزانة الاميركي زيارة لمصر يوم ٥ اذار الجاري ، وسوف يتبعه رئيس صندوق النقد الدولي يوم ١٥ اذار ، وبعده يجيء دور روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولي ٠

وفي ضوء تجربة العام الماضي (١٩٧٥) ، فان المساعدة الاميركية لمصر (٤٤٤ مليون دولار) في مجال السلع الزراعية والواردات السلعية لم تحقق اية نتيجة ٠

« فالمساعدات » التي تقدمها اميركا او الدول الرجعية العربية (وخاصة عند انشاء الصندوق العربي) تستخدم ، في الاساس ، في شراء سلع استهلاكية او اقامة مشروعات تحقق اقصى ربح ممكن للطبقة الحاكمة في مصر ولا تدخل ضمن اطار تنمية مخططة او مشروعات تدر عائدا حقيقيا للاقتصاد المصري ٠

« انفتاح » للمستهلكين الاغنياء

فالمشكلة التي لا علاج لها في ظل النظام الساداتي هي ان اصحاب الثروات الطارئة والطائلة لا يفكرون على الاطلاق في اقامة مشروعات ، تعيد الى الاقتصاد المصري قوته وحيويته ٠

وتلتقي فلسفة هؤلاء الاثرياء المصريين مع فلسفة المستثمرين العرب والاميركيين ٠

ومن الامثلة البارزة على ذلك ان اتحاد الاستثمارات الكويتية « يستثمر » في مصر عشرة ملايين جنيه في اقامة عمارات ضخمة وفنادق فاخرة، ولم يسفر « الانفتاح الاقتصادي » الساداتي حتى الان الا عن توافر اصناف البيرة الهولندية والدانمركية والالمانية في كل مكان ٠ واصبحت اصناف الجبن لا تقل عن العشرين ٠ اما انواع معلبات الفاكهة والخضروات والاسماك والكافيار فيصل عددها الى المئات ٠ وجميع انواع السجائر الاجنبية تباع على الارصفة كبديل للسجائر المحلية ٠ واخذت مطاعم « كنتاكي شيكن » (للدجاج الاميركي) و « وميي » تزحف ايضا في كل مكان ٠ وطوفان السيارات الفارهة يتدفق في شرايين القاهرة ٠٠ الخ ٠

وهكذا فالمعونة المالية الاميركية والعربية لمصر لا تكفي ، كما ان التركيب الاجتماعي لمصر في الوقت الحالي لا يتيح الاستفادة حتى من هذه المعونة الزهيدة ٠

وسوف يسعى اصحاب « الصندوق العربي » الى فرض الاتجاهات الاقتصادية التي يريدونها اكثر فأكثر مما يؤدي الى المزيد من تدهور الاوضاع الاقتصادية في مصر ٠

تذمر شامل

والوضع في مصر لم يعد يحتمل ٠ والازمة المعيشية جعلت حياة الناس جحيما مستمرا ٠

فالمواطنون يشاهدون ، وهم يقفون طوابير طويلة امام المحلات الاستهلاكية الحكومية لشراء بعض حاجاتهم الضرورية بالبطاقات ، كالرز والسكر والشاي والصابون والعدس واللحم وغير ذلك ! ولكن ليس كما يريدون من حيث النوع والكم ، وانما حسب التقنين ولاصناف معينة ، فالتقنين يزداد ومعه تزداد الطوابير المنتظرة دورها فيما تتضخم تجارة السوق السوداء والاحتكار ويزداد عدد القطط السمان او المليونيرية الخمسمائة ٠٠٠

ومع ازدياد هذه الازمة ، فان انعكاساتها كأزمة عامة ، تجعل من التذمر شاملا بين المواطنين ، ولا تملك اجهزة النظام الاعلامية من حل تعطيه للرأي العام الا بقرب تخفيفها تمهيدا لحلها ٠٠٠

وفي عددها الصادر بتاريخ ٢٦/٤/١٥ ذكرت مجلة الاهرام الاقتصادي الصادرة عن دار الاهرام مقالا مدعما بالارقام حول سياسة الاسعار جاء فيه :

اعد الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء بيانات عن اتجاهات الاسعار خلال ١٣ شهرا فيما بين اكتوبر ١٩٧٤ واكتوبر ١٩٧٥ ، وتمضي المجلة فتقول ، والارقام منخفضة جدا في اظهار حدة التضخم خلال الفترة المشار اليها بسبب اعتمادها على الاسعار الرسمية وليس على الاسعار السائدة، ورغم ذلك فان الايام تنطق بحقائق هامة :

● زاد الرقم القياسي العام لاسعار المستهلكين في المدن بمعدل ٩ر٩٪ بين اكتوبر ١٩٧٤ واكتوبر ١٩٧٥ ٠

● كان اقصى ارتفاع في الاسعار بالمدن في مجموعة الاثاث والادوات المنزلية (٣ر٣٣) ٪ تليها الالبان ومنتجاتها ٣ر٢٤ ٪ ثم اللحوم والبيض والسمك ٤ر٢٣ ٪ علما بأن معدل الاجور ما يزال ثابتا خلال الفترة نفسها ، ويعني ذلك انخفاضا في مستوى المعيشة بنفس تلك النسب ٠

وتبدو السلطة عاجزة كليا عن وضع حد لتضخم الاسعار التي شككت « الاهرام الاقتصادي » في دقة الارقام الحكومية !

والملاحظ ان الاعلام الحكومي يحاول ان يجد عزاءه في امور خارجية يعطيها كمبرر لهذا الوضع، منها التضخم العالمي للاسعار الذي يبلغ حوالي ٤٠ ٪ ، « وسوء اوضاع القطاع العام الموروث من عهد عبد الناصر » كما يحاول ان يوحي هذا الاعلام بغباء ، ثم تأتي بالتدريج بقية الاعباء ، منها انخفاض مجمل الانتاج الزراعي قياسا بالنمو السكاني ، ناهيك عن التوسع في الاستهلاك الناتج عن اثراء وصرفيات الطبقة الجديدة الحاكمة ٠٠٠ فلقد كان مجمل الانتاج الزراعي خلال السنوات العشر الاخيرة يحقق نموا يقل عن ٣ ٪ سنويا ، فيما بعض المحاصيل الزراعية كان انتاجها يتذبذب بين الارتفاع والانخفاض ، وبعضها الاخر يشهد انخفاضا مستمرا في السنين الاخيرة كالقطن، القصب في الوقت الذي نجد فيه ان نسبة الزيادة السكانية هي بنفس نسبة الزيادة في الانتاج الزراعي وكما تقول المصادر الرسمية نفسها فان الطلب الاستهلاكي على المواد الغذائية اصبح يفوق بكثير معدلات الانتاج خلال السنوات الثلاث الاخيرة ٠٠٠

وكمثال ، فان مصر كدولة كانت منتجة للقمح والزيوت النباتية ، اصبحت مستوردة لها بكميات متزايدة ، ستصبح قريبا مستوردة للسكر والفول والعدس ، كمانها ستتوقف عن تصدير الرز ٠٠٠ ان الازمة التموينية الحادة والمتزايدة تعكسها في الصحف صور الكاريكاتير والنكات لعلها تسهم في تخفيف النقمة نفسيا ٠

كنتاكي تشيكن : هذا هو « الانفتاح » في مصر !

وزن السادات عند الاميركيين

هل حققت رحلة السادات هدفها السياسي ؟ كل الوقائع تؤكد ان الولايات المتحدة واسرائيل تشعران بأنه لم يحن الوقت بعد لاتخاذ خطوات اخرى ـ كالتي يريدها السادات ـ على طريق التسوية ٠

فالقيادة الاميركية بدأت بالفعل تمارس لعبة انتخابات الرئاسة الاميركية ، وفي نفس الوقت تزيد من شحنات الاسلحة الجديدة المتطورة لاسرائيل ٠

والسادات لم تعد له قيمة كبيرة عند الاميركيين بعد ان عزل نفسه عن العالم العربي ، بحيث يجب عليه الانتظار حتى تفرغ واشنطن من مشغولياتها ٠ ولكن ، لا مانع لدى اميركا من الايهام بـ « التحرك » لارضاء القوى التي تتعجل التصفية الكاملة ٠

والدول الرجعية العربية لا تستطيع ان تتحكم في مسار الاحداث في المنطقة على النحو الذي يساعد السادات ٠

والقوى الوطنية العربية والثورة الفلسطينية اكتسبت من التجارب ما يسلحها باليقظة في مواجهة كل هذه المخططات ٠ فماذا بقي لانور السادات ؟

■■

طعام المناسبات

يبدو ان نظام السادات يطبق سياسة جديدة يمكن تسميتها « بالبدائل » فلكل مادة او سلعة هناك بديل لها ، وبعد ان تم تقنين اللحمة والعدس بالبطاقات بمعدل ربع كيلو بالشهر للمواطن (وبالذات في محافظة الاسكندرية) ، ابرزت اجهزة الاعلام شعارا جديدا اسمه صحن فول + بيضة = وجبة لحمة ٠ تناست هذه الاجهزة ان المواطن الفقير في هذه الايام اصبح يعتبر الفول والبيض من الوجبات الفخمة التي لا تؤكل الا في المناسبات !